

رابعاً: الفرويدية الجديدة (New Freudians):

١- هورني (Horney) (١٩٥٣-١٨٨٢):

التي ترى عالمة النفس هورني أن المبدأ الذي يقرر سلوك الإنسان هو حاجة الإنسان إلى الأمن والاطمئنان، فمنذ الطفولة إذا ما اضطربت علاقة الطفل بوالديه، فإن الطفل ينمو وهو يشعر بأن العالم مكان خطر وإيذاء له، وتسمى هورني هذا الشعور بـ (القلق الأساسي)، ووصفت القلق الأساسي بالشعور باليأس تماماً وكذلك بالوحدة عند مواجهة مشكلة خطيرة، وبسبب هذا الشعور المرضي (القلق الأساسي)، فإن الفرد يصبح مريضاً نفسياً، ويلجأ إلى طرائق عدة لحماية نفسه من وطأة القلق وتصبح هذه الطرائق في حد ذاتها حاجات نفسية مرضية، واهتمت هورني بالعصابية على نحو كبير واعتقدت بأن لكل شخص قوى بنائية وتدميرية في شخصيته ولكن تسود القوى التدميرية في العصابي. وتركز فكرتها عن العصابية على معالجة الحاجات والصراعات العصابية، وأكدت هورني بأن الحاجة تكون عصابية إذا شملت أربع خصائص هي:

١. إذا كانت إجبارية.

٢. إذا كان مبالغاً بها.

٣. إذا كانت عامة جداً.

٤. إذا لم تكن قابلة للإشباع.

كما ترى هورني أن هناك ثلاثة خطوط رئيسية يمكن للفرد التحرك وفقها، وهي (التحرك نحو الآخرين) و(التحرك ضد الآخرين) و(الابتعاد عن الآخرين)، وأوضحت هورني أن الشخص العصابي تكون إحدى هذه النزعات هي المسيطرة عليه وتبقى النزعتان الأخريان بدرجة أقل، فكل تحرك للفرد العصابي يكون قائماً على واحد من العوامل المكونة للقلق الأساسي: التحرك نحو الآخرين بسبب الضعف والعجز، والتحرك بعيداً عن الآخرين عن طريق العزلة، والتحرك ضد الآخرين بفعل العداوة، كما ترى أن التعارض أو التضاد بين هذه النزعات الثلاث هو الصراع الذي يشكل جوهر الذهان. على هذا فالشخص السليم في نظر هورني، لا يخصص نفسه بوحدة من الحلول الثلاثة (سابقة الذكر)، إذ يمكنه أن ينتقل من اتجاه إلى آخر تبعاً لما يناسب ذلك من سلوك، أي بمعنى أنه يمتلك مرونة الانتقال من أسلوب إلى آخر وبحسب ما تستدعيه الظروف.

٢- أريك فروم (Erich Fromm):

الذي دافع بقوة عن ضرورة النظر إلى الإنسان في سياق المعطيات الأنثروبولوجية والفلسفة الاجتماعية، أي أن للمثل العليا الدينية والإنسانية أهمية في فهم مرض الإنسان بمقدار ما لإشباع الحاجة إلى الحب والمطالب العضوية من أهمية، وركز فروم على نقطة أساسية هي

حاجة الإنسان لأن يجد معنى في وحدته وفردية حياته. كما حاول فروم أكثر من غيره أن يفهم التفاعلات القائمة بين القوى النفسية الفردية في الفرد وبين المجتمع الخاص الذي يعيش فيه، ويرى فروم أن ضعف الإحساس بالأمن هو أمر لا بد منه، ومن ثم فإن الإنسان لا يستطيع التمتع بالصحة النفسية بشكل تام، لأن التدرج في مراحل النمو وتحقيق الاستقلالية يكون على حساب الشعور بالأمن النفسي، وأن التغيير والحركة والتعقيد في المجتمع تؤدي إلى خسارة أو فقد العلاقات الآمنة مع الجماعات الأولية ومع الطبيعة نفسها، وهذا يؤدي إلى شعور الإنسان بالوحدة والعزلة، والمجتمع (طبقاً لفروم) لا يقدم الوسائل الكفيلة لتحقيق هذه الحاجات، لذلك لا يستطيع الإنسان أن يصل إلا إلى تحقيق جزئي لصحته النفسية، وعلى هذا فقد فسّر فروم الأمراض النفسية بأنها تعبير عن الصراع الأساسي القائم بين طلب الإنسان وسعيه المشروع للتمتع بالحرية وتحقيق الذات والسعادة والاستقلال، وبين النظم المختلفة والقائمة في مجتمعه التي تعارض وتحبط أو تفشل هذا السعي وتحقيقه.

خامساً: المدرسة السلوكية (Behaviorism):

تعد هذه المدرسة التعلم هو المحور الرئيس، وأن السلوك المرضي يمكن اكتسابه ويمكن التخلص منه كما هو الحال في السلوك العادي. فالعملية الرئيسية في كلتا الحالتين، هي عملية تعلم، إذ تتكون الارتباطات بين مثيرات واستجابات، ويرى السلوكيون بأن المرض النفسي إنما هو سلوك متعلم (Learned Behavior)، ومع مرور الزمن تتحول العادات السلوكية إلى التزامات يتمسك بها الفرد بوصفها أنماطاً مرضية منذ الطفولة. ويكون تعلم الأعراض التي تظهر في سلوك العصابي من البيئة، ومن مراحل نموه، ولاسيما مرحلة الطفولة، وبهذا فإن المنحى السلوكي ينظر إلى الأمراض النفسية بأنها عادات غير توافقية. ولذلك فإن الخلل العقلي ينظر إليه بأنه سلوك خارجي وليس صراعاً داخلياً. كما أن المحاولات التي تبذل لتفسير السلوك الشاذ تركز لذلك على أنواع الثواب والعقاب الظاهرة التي تتحكم بسلوك المريض، لا على حالات داخلية لا يمكن ملاحظتها.

١- بافلوف (Pavlov):

يرى بافلوف أن الأمراض النفسية نتيجة لاضطراب في عملية التدريب في الصغر، مما يعطي الدماغ حالة مزمنة من الاضطراب الوظيفي في العمل، ويضع بافلوف قاعدة الخطأ في التفاعلات الشرطية التي تسبب اضطراب الصحة النفسية ونشوء العصاب في القشرة الدماغية، ويرى بافلوف بأنه إذا كان التأزر بين نشاط الأنظمة الثلاثة (نظام الأفعال المنعكسة غير الشرطية، النظام الإيثاري الأول، النظام الإيثاري الثاني) هو أساس الصحة النفسية أو النشاط العصبي السوي، فهذا التأزر هو نتيجة للتوازن بين عمليات النشاط العصبي، أي إن التوازن أساساً بين عمليتي الاستثارة والكف.

ويرى بافلوف أن الأمراض العصابية والذهانية ما هي إلا عادات خاطئة تكونت تدريجياً من سلاسل معينة من الأفعال المنعكسة الشرطية وأنه لعلاج هذه العادات الشاذة يجب إطفاء هذه الأفعال الشرطية المرضية وتكوين أفعال شرطية جديدة تحل محل العادات الخاطئة.

٢- سكينر (Skinner):

يعتقد سكرن أن المظاهر السلوكية التي توصف بأنها مريضة أو شاذة تتكون من مبادئ التعلم الشرطي الإجرائي مثل كل أنواع السلوك الأخرى، وينظر سكرن إلى الاضطرابات النفسية أنها استجابات متعلمة للمنبهات البيئية المؤلمة والمزعجة التي يتعرض لها الإنسان، فتسبب حالة من انعدام الأمن النفسي (Insecurity). ويستثار القلق الذي يولد بدوره قلقاً أشد هو القلق العصابي (Neurotic Anxiety). ويرى أن الأعراض العصابية تنشأ بسبب الاضطرابات في عمليتي الاستثارة (Arousal) والكف (Inhibition) للنظام العصبي المركزي، وهو الرأي نفسه الذي قدمه بافلوف سابقاً.

وعموماً فالشخصية السليمة من وجهة نظر السلوكيين تتطلب الكفاية والسيطرة على الذات والقدرة على قمع التصرفات التي لم تعد تقود للمعززات الايجابية، وتعلم التصرفات الفاعلة في بلوغ الإشباع الجيد، ويتحقق مثل هذا التكيف إذا استطاع الفرد أن يكتشف الشروط أو القوانين الكامنة في الطبيعة أو المجتمع والتي يستطيع الفرد بموجبها سد احتياجاته وتجنب المخاطر.

سادساً: المدرسة الإنسانية (Humanistic):

المدرسة الإنسانية منظوراً ظاهرياً (Phenomenological) يعتمد على الفلسفة الظاهرية لـ (هوسيرل Husserl) (١٩٧٠-١٩٠٠) التي تهدف إلى معرفة ووصف السمات الأساسية للكائن البشري في العالم. وقد عدّ جاسبر (Jaspers ١٩٢٣) الظاهرية بوصفها فرعاً مهتماً بالمرض النفسي، إذ إنها عالم المريض الداخلي أي الاهتمام بالأعراض لا بالعلامات، وأن هذا العالم غير قابل للوصول إلى الملاحظة المباشرة ويمكن فهمه عن طريق تقرير المريض، لأن الأوصاف الذاتية العفوية للمريض غير محرفة بالشك.

وترى المدرسة الإنسانية أن الإنسان هو مركز الوجود وهو صاحب الإرادة الحرة ومسؤول عن أفعاله وسلوكه وليس مفعولاً أو مسيراً متأثراً بقوى خارجية عن أرائه، فهو الفاعل الإيجابي الذي يتحكم بمصيره.

١- ماسلو (Maslow):

نظر ماسلو إلى الإنسان نظرة إيجابية بوصفه قادراً على التقدم من مرحلة إلى أخرى في تطوره الاجتماعي، وإن هذا التقدم لا يحدث بسبب المتطلبات التي يفرضها البناء المعاييري للمجتمع، ولكنها بالأحرى بسبب الخصائص الإنسانية الفطرية، وأعتقد ماسلو بأن حالات الشذوذ تنتج عن إحباط الحاجة الأساسية، وحتى التطور الخطأ ناتج بصورة عامة من إعاقة الحاجات الأساسية. وإن أحباط الحاجة هو عامل رئيس في نمو الشخصية الخطأ وسبباً أساسياً لحالات الشذوذ في كل الحياة، ويرى ماسلو أن العصائيين هم أولئك الذين حُرِّموا أو حَزَموا أنفسهم من الوصول إلى إشباع أو أكفاء حاجاتهم الأساسية، وهذه الحقيقة تمنع الفرد من التقدم نحو الهدف النهائي المتمثل بتحقيق الذات، ويرى أن الأشخاص العصائيين هم أولئك الذين يشعرون بالتهديد وانعدام الأمن والاحترام القليل للذات.

إن ما ينبه له ماسلو هو وجود علاقة بين تصرفات الشخصية السليمة، وما أطلق عليه السلوك الوسيلى (Instrumental Behavior) الذي هو السلوك الشخصي والاجتماعي المقبول، والخاضع لضبط الشخص التلقائي، والفرق كبير بين السلوك الوسيلى والسلوك غير المنظم، وعلى هذا فالشخصية السليمة تتصرف بشكل وسيلى (غرضي) لكي تحصل على الأشياء التي تشبع حاجاتها المختلفة، ويحدد ماسلو صفات الشخص المحقق لذاته، إذ يرى أنه يرضى رغبته في البحث عن المتع الجمالية كالنظام والتماثل والجمال، ويتناغم مع معنى سر حياته ويتقبل ذاته والآخرين وحقائق الوجود، وتبهره خبرات الحياة، ويكون هذا الشخص تلقائياً وخلاقاً وله روح الدعابة، ويكون قد حقق معظم قدراته، وأصبح قادراً تماماً أن يكون.

٢- روجرز (C. Rogers):

وهو من أبرز منظري هذه المدرسة، فإنه يؤكد الخبرة الواعية للأفراد ووعيهم الذاتي لأنفسهم والعالم من حولهم، وإن الفرد يرد الفعل للعالم كما يتصوره. وتقرر هذه الإدراكات استجاباته للأحداث والآخرين، وإذا أبقى الأفراد أنفسهم مفتوحين لعالم الخبرة، يكونون قد أسسوا الشرط الأساس الضروري للنمو والنضج وتحقيق إمكاناتهم، ويرى روجرز أن الشذوذ هو نتيجة للمفهوم الذاتي الخاطئ تماماً، ويتطور هذا المفهوم الذاتي عن طريق خبرات الحياة الخاطئة، والشكل الشائع للشخصية الشاذة هو الشخص الذي يندفع بكل حالات يجب وينبغي جاعلاً مشاعره ورغباته الخاصة تحت السيطرة الدائمة أو حتى عدم الشعور بها، وأن هؤلاء الناس لا يشعرون بالراحة الداخلية لأنهم يحتنون دائماً بالمعايير السطحية التي قبلوها بوصفها قيماً خاصة لهم. ويلاحظ في كل هذه الحالات أن الاضطراب الرئيسي الكامن وراء كل هذه الأعراض هو مفهوم الذات المزيفة.

ويرى روجرز أن الأفراد العصائيين والذهانيين هم أولئك الذين ينقصهم التطابق بين مفهومهم لذواتهم وخبراتهم، إذ يؤدي عدم التطابق هذا إلى شعور الفرد بأنه مهدد فيندفع مستعيناً بميكانزمات دفاعية متسقة مع تفكيره الذي يتميز بالتزمت والصرامة، ويضطر مثل هذا الفرد إلى تشويه خبراته من أجل حماية ذاته وليحصل على احترام إيجابي من الآخرين، ويرى روجرز أن هناك اتصالاً وثيقاً بين مفهوم تقبل الذات وتحقيقها وبين الصحة النفسية، ويؤكد الحرية الشخصية كونها عنصراً أساسياً في تكوين الشخصية السليمة.